وكفى بهذه الآية زاجرة زجرا بليغا فيما يسأل عنه من الأحكام وباعثة
على وجوب الاحتياط فيه وأن لا يقول أحد في شيء جائز أو غير جائز إلا بعد إيقان
وإتقان ومن لم يوقن فليتق الله وليصمت وإلا فهو مفتر على الله ﴿يوم
القيامة﴾ منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه يعني أي شيء ظن المفترين في ذلك
اليوم ما يصنع بهم فيه وهو يوم الجزاء بالإحسان والإساءة وهو وعيد
عظيم حيث أبهم أمره وقرأ عيسى بن عمر وما ظن على لفظ الفعل ومعناه
وأي ظن ظنوا يوم القيامة وجيء به على لفظ الماضي لأنه كائن فكأن قد كان
﴿إن الله لذو فضل على الناس﴾ حيث أنعم عليهم بالعقل ورحمهم بالوحي
وتعليم الحلال والحرام ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ هذه النعمة ولا يتبعون
ما هدوا إليه ﴿وما تكون في شأن﴾ ما نافية والخطاب لرسول الله صلى
الله عليه والشأن الأمر وأصله الهمز بمعنى القصد من شأنت شأنه
أي قصدت قصده والضمير في منه للشأن لأن تلاوة القرآن شأن من شأن
رسول الله بل هو معظم شأنه أو للتنزيل كأنه قيل وما تتلو من التنزيل
من قرآن لأن كل جزء منه قرآن والإضمار قبل الذكر تفخيم له أو لله عز وجل
﴿وما تعملون﴾ أنتم جميعا من عمل أي عمل كان ﴿إلا كنا عليكم شهودا﴾ شاهدين
رقباء نحصي عليكم ﴿إذ تفيضون فيه﴾ من أفاض في الأمر إذا اندفع فيه ﴿وما يعزب﴾
قرئ بالضم والكسر وما يبعد وما يغيب ومنه الروض العازب ﴿ولا أصغر من ذلك
ولا أكبر﴾ القراءة بالنصب والرفع والوجه النصب على نفي الجنس والرفع
على الابتداء ليكون كلاما برأسه وفي العطف على محل من مثقال ذرة أو على
لفظ مثقال ذرة فتحا في موضع الجر لامتناع الصرف إشكال لأن قولك
لا يعزب عنه شيء إلا في كتاب مشكل ﴿فإن قلت﴾ لم قدمت الأرض على السماء

بخلاف قوله في سورة سبأ عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا
في الأرض قلت حق السماء أن تقدم على الأرض ولكنه لما ذكر شهادته
على شؤون أهل الأرض وأحوالهم وأعمالهم ووصل بذلك قوله لا يعزب عنه
لاءم ذلك أن قدم الأرض على السماء على أن العطف بالواو حكمه حكم التثنية
﴿أولياء الله﴾ الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وقد فسر
ذلك في قوله ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ فهو توليهم إياه ﴿لهم البشرى في
الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ فهو توليه إياهم وعن سعيد بن جبير أن رسول الله
سئل من أولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم يعني السمت
والهيئة وعن ابن عباس رضي الله عنه الإخبات والسكينة وقيل هم
المتحابون في الله وعن عمر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه يقول إن من عباد
الله عبادا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة
لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما أعمالهم فلعلنا
نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال
يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى منابر من نور لا يخافون
إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ثم قرأ الآية ﴿الذين آمنوا﴾
نصب أو رفع على المدح أو على وصف الأولياء أو على الابتداء وخبره لهم البشرى
والبشرى في الدنيا ما بشر الله به المؤمنين المتقين في غير مكان من كتابه
وعن النبي صلى الله عليه هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له وعنه عليه السلام
ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وقيل هي محبة الناس له والذكر الحسن وعن
أبي ذر قلت لرسول الله الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال تلك عاجل
بشرى المؤمن وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تأتيهم الملائكة بالرحمة قال

Copyright King Saud University